

تأليف
د / حسام العقاد

رسوم
محمود الأعصر

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
ت : ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

وقف حافظ أمام المرآة، يتأمل حلته السوداء الأنيقة، الغالية الثمن، ورابطة عنقه الثمينة، والخواتم التى تزين أصابعه، وابتسم فى زهو ورضاء عن هيئته، فغادر غرفته، واتجه نحو حديقة منزله الواسعة، ذات الأشجار العالية، والنباتات المتناسقة، والورود الجميلة بأنواعها المختلفة، وأجال حافظ بصره فى أرجاء الحديقة، وامتلأت نفسه بالفخر لمنظرها البديع، وفجأة زالت سعادته، وعبس وجهه عندما أبصر صبيا يقف أمام حوض الزهور، يشم رائحتها الزكية، ويتأمل ألوانها الخلابة، ويهتف من قلبه:

- سبحان الله خالق كل هذا الجمال.

صاح حافظ غاضبًا:

- أيها الصبى.. اقترب.

هرول الصبى إليه، ووقف أمامه فى احترام وأدب، فنظر حافظ إليه باشمئزاز، ضايقه منظر الصبى الفقير، وملابسه الرثة، وسأله فى لهجة جفة:

- من أنت؟

أجاب الصبى

- أنا حسن، ابن الجناينى.

صرخ حافظ فى وجهه:



- لماذا غادرت كوخ والدك؟

- كنت أتامل الورود الجميلة و . . .

قاطعه حافظ فى حدة:

- منظرك السيىء يضايقنى، يسيىء لجمال حديقتى وروعتها، اغرب عن وجهى، ولا تدعنى أراك بعد الان.

سالت دموع حسن، ضايقته إهانة الرجل الثرى الذى يعمل عنده والده، وأسرع إلى الكوخ الصغير فى أقصى الحديقة، وجلس يبكى وينتحب، رآه والده، فأسرع إليه، وربت على كتفه فى حنان، وقال ودمعة تترقرق فى عينيه:

- لا تحزن يا حسن، إنه رجل متكبر، لم يأخذ من الدنيا غير مظاهرها الخادعة، لا يهتم فى حياته سوى بالنقود والملابس الغالية، ولا يعلم أن الإنسان ليس بنقوده ومظهره، بل بما فى قلبه من خير وطاعة لله عز وجل.

كفكف حسن دموعه، وقال وفى صوته أثر البكاء:

- ولكنه أهاننى . .

قال والده فى تأثر:

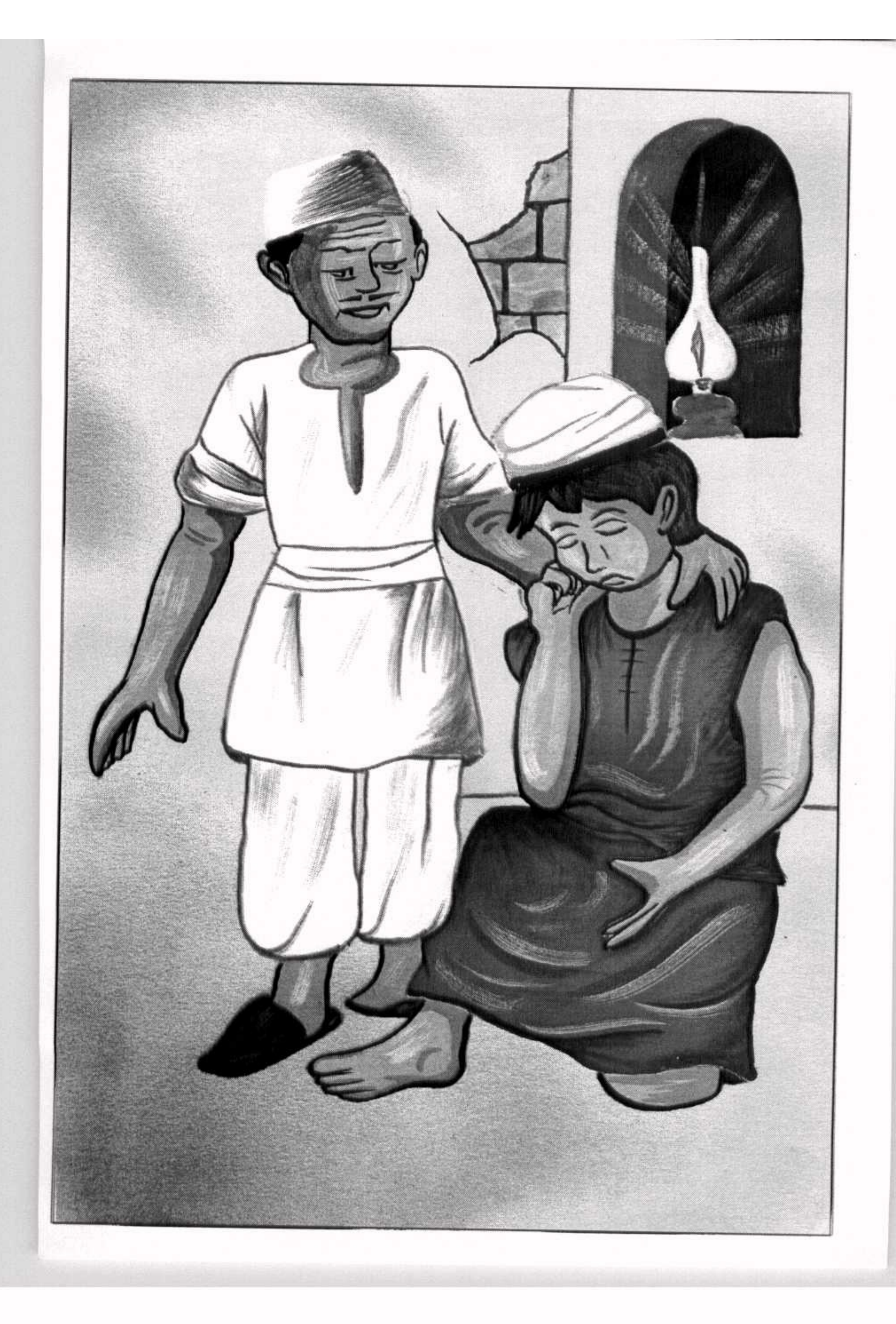
- سيأتى اليوم الذى يتعلم فيه هذا المتكبر . . .

وجذبه من يده فى رفق، وقال:

- إنى اسمع الأذان . . هيا . . قم لنصلى فى الجامع.

ونهض حسن، وسار مع والده إلى الجامع . .

وفى نفس الوقت، كان حافظ يجلس مع أصدقائه الأثرياء



فى الحديقة، يشير بيده فى زهو، إلى أقفاص الحيوانات المفترسة، التى اصطادها بنفسه، وجاء بها إلى الحديقة، ليعرضها ويتباهى بها أمام معارفه..

ونهض واقفا، وراح يتحدث فى خيلاء عن رحلات الصيد التى قام بها، ويشير بعصاه الأنيقة إلى الأقفاص، هذا الأسد اصطدته من غابات أفريقيا، وهذا الثعبان من وسط آسيا، أما هذا القرد فقد أهداه لى أحد الأمراء..

واستمر فى حكاياته، وأصدقاءه يتابعون فى انبهار، ولم يشعر بعصاه وهى تصطدم بمقبض قفص الثعبان الضخم، فينفتح الباب، ولكنه فوجىء بالثعبان يغادر قفصه، ويزحف نحوه..ثم يهاجمه..

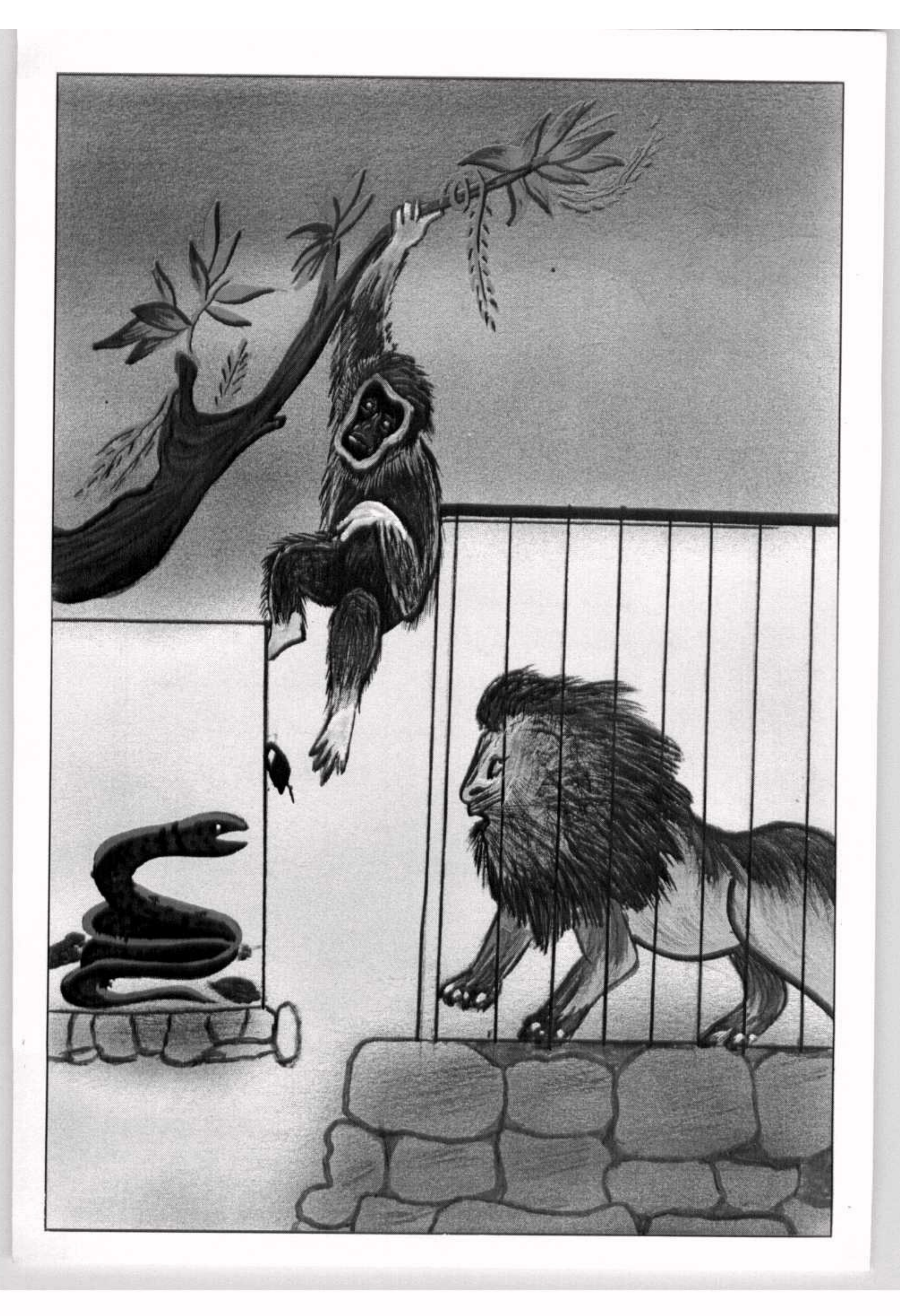
ارتفع صراخ أصدقاء حافظ وهم يرون الثعبان يلتف حوله ويقيد حركته..

واستولى الفزع عليهم، وابتعدوا فى رعب، دون أن يفكر أحدهم فى إنقاذه.. وتركوه يواجه الموت وحده..

وصرخ حافظ صرخة عالية..

وسمع حسن الصراخ، كان عائدا من الصلاة، عندما أبصر الضيوف وهم يعدون بفزع، وسمع الصراخ، فراح يعدو نحو حافظ، ورآه يصارع الثعبان الضخم، ومقاومته توشك على الانهيار..

وبدون تردد اتجه حسن نحوهما فى جرأة شديدة، وأحاط بيده عنق الثعبان فى حذر، ثم ضغط عليها بكل قوته..



واندهش حافظ وهو يرى الصبى الصغير يخاطر بحياته من أجله، وزادت دهشته عندما رآه وهو يبعد الثعبان عنه، ويشدد ضغطه على عنقه ورأى جسم الثعبان الطويل ينتفض فى عنف..

وفى حذر قذف حسن الثعبان، ومد يده فى سرعة ليلتقط فأسا ضخما، ويهوى به على رأس الثعبان فيقتله فى الحال..

والتقط أنفاسه، وغمغم فى إيمان:

- الحمد لله.

ثم أسرع نحو حافظ ليضمد له جروحه.

نظر حافظ إلى الصبى فى تأثر، وقال فى انفعال:

- أصدقائى تخلوا عنى وقت الخطر، هربوا وتركونى أواجه الموت وحدى، لم يهتموا بصراخى، وأنت تنقذنى بعد أن أهنتك، وقسوت عليك ولم أتأثر بدموعك.

ووضع يده على كتف حسن، وقال فى رجاء:

- هل تقبل اعتذارى؟

أشرق وجه حسن بابتسامة، وقال فى سعادة:

- لقد دعوت الله أن ينقذك من داء الكبر، والحمد لله استجاب لدعائى.

أطرق حافظ برأسه فى خجل، وقال:

- أجل يا صديقى الصغير، كنت متكبرا، كنت أظن أن الإنسان بمظهره الحسن، ونقوده، وأصدقائه الأثرياء، ولكنى



عرفت الآن من هو الصديق الحقيقى الذى يقف معى فى الشدة.

قال حسن فى إيمان:

- قال تعالى: - **﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا، إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾** - (١)

لقد نهانا الله أن نصغر خدنا للناس بمعنى أن نعرض وجهنا عنهم تكبرا.

طأطأ حافظ رأسه فى خجل وأسف، فعاد حسن يقول:

- علمنى أبى أن التكبر والغرور والزهو بمظاهر الدنيا الخادعة يدفعون صاحبهم إلى النار، فالجنة لن يدخلها متكبر، لقوله تعالى: **﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فسادا والعقبة للمتقين﴾** - (٢)

فالمتكبر يظن أنه أفضل من بقية الناس، فيستهين بهم ويسفه آراءهم وأفكارهم، وقد نهانا الله عن كل هذا.

وسكت حسن، وخشى أن يضايق حديثه حافظ، ولكنه فوجىء به يقول:

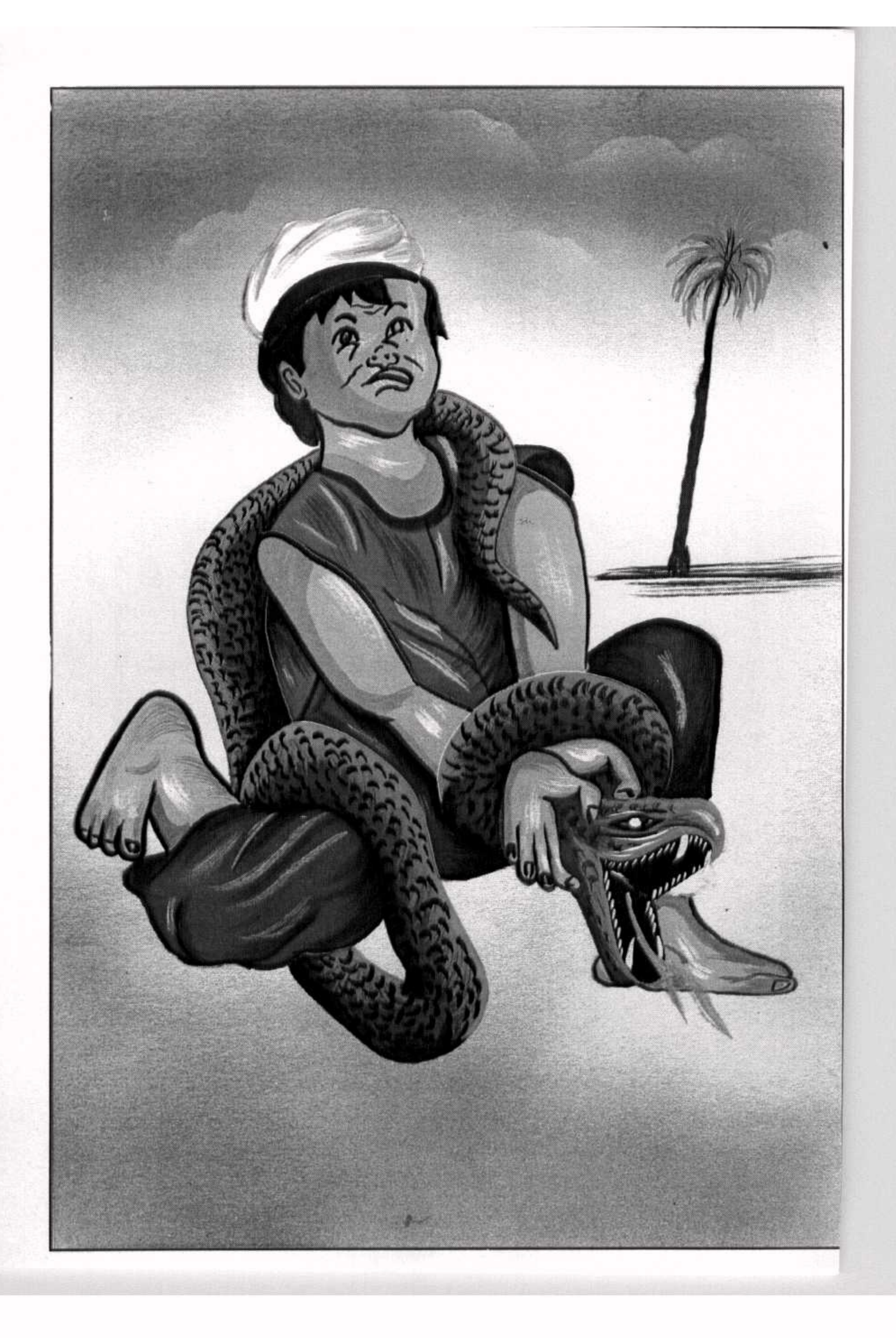
- أكمل حديثك يا حسن، إنى أتعلم منه..

شعر حسن بالسعادة وقال:

- لو علم الناس عاقبة التكبر والغرور، لما سمحوا لهما أبدا بالتسلل إلى قلوبهم..

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٨ .　　(٢) سورة القصص: الآية ٨٣ .



قال رسول الله ﷺ : «**لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من الكبر**»(١)

قال حافظ فى حزن وأسف:

- ذرة واحدة من الكبر . . تمنع صاحبها من دخول الجنة . .

قال حسن فى لهجة تقطر إيمانا:

- أجل، فالعزة لله وحده، والكبرياء من صفاته جل جلاله، ولا يحب سبحانه أن يشاركه فيها أحد من عباده.

قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى:

« **العزة إزارى، والكبرياء ردائى، فمن ينازعنى فى واحد منهما فقد عذبته**» (٢)

كما قال النبى ﷺ : « **من تعظم فى نفسه، واختال فى مشيه، لقى الله وهو عليه غضبان**» (٣)

ومعنى الحديث: أن الله سبحانه وتعالى يغضب إذا تكبر الرجل، وسار معجبا بنفسه، مزهوا بما يملك من مال، متبخترا فى خطواته.

سأله حافظ فى قلق:

- هل معنى هذا أن المسلم لا يستطيع ارتداء الملابس الأنيقة الجميلة؟

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم (٩١) .

(١) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم (٩١) .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد (٦/ ١٩) .



هز حسن رأسه نافيا، وقال:

ـ من قال هذا؟ لقد خاف رجل من الصحابة أن يكون ارتداء الملابس الأنيقة من علامات الكبر، فسأله ﷺ :

ـ إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا.

قال ﷺ :

ـ « **إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس** » (١)

فالمظهر الجميل ضرورى للمسلم، فالله حثنا عليه، وليس من التكبر، إنما التكبر هو بطر الحق أى دفعه ورده، وغمط الناس أى احتقارهم والاستهانة بهم.

ونظر حسن إلى حافظ وسأله:

ـ من هو أفضل خلق الله سبحانه وتعالى ؟

أجاب حافظ على الفور:

ـ إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال حسن:

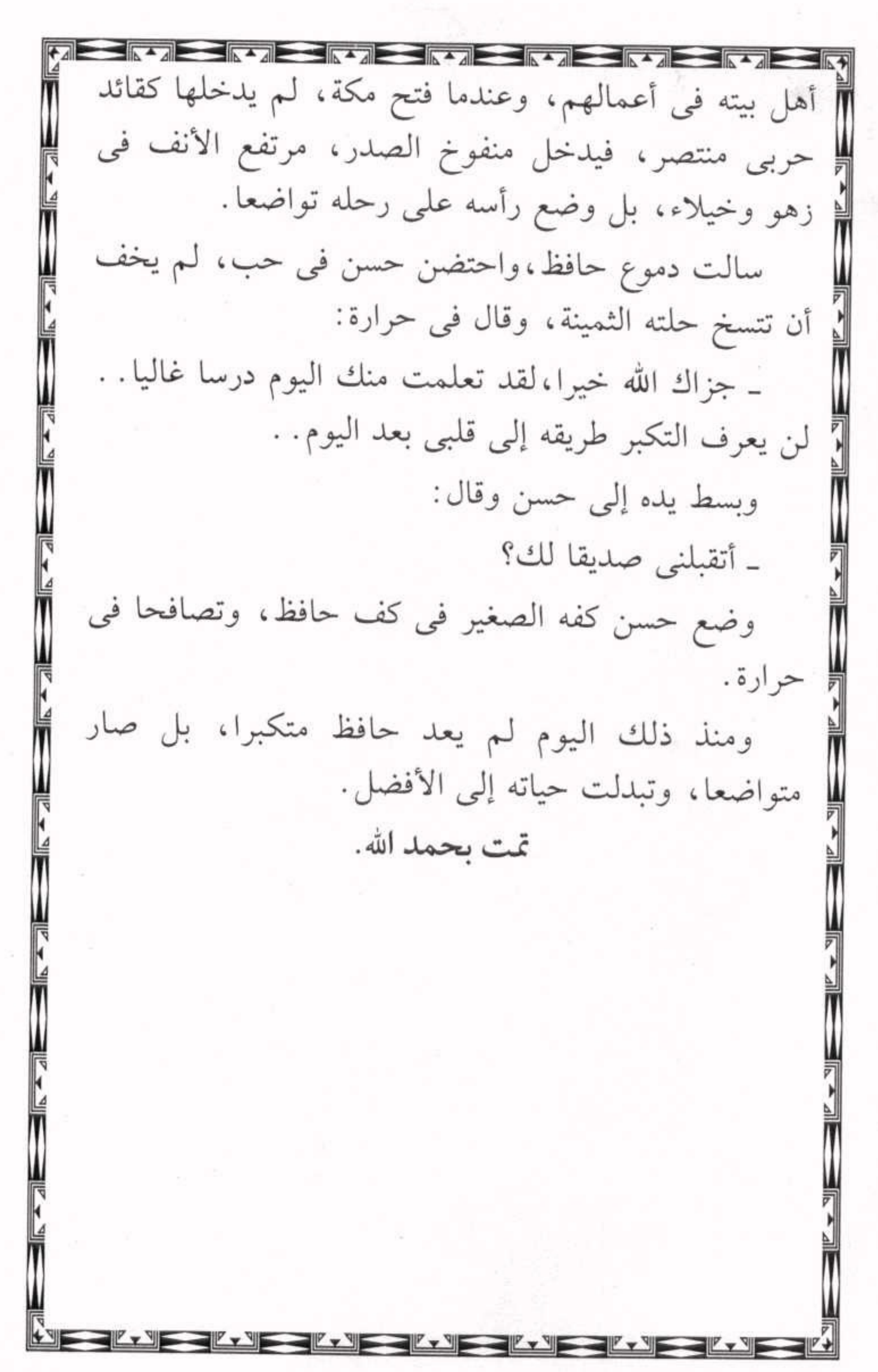
ـ وبالرغم من هذا كان شديد التواضع، فعندما خيره الله سبحانه وتعالى أن يكون ملكا نبيا أو عبدا رسولا، لم يختار الملك بل فضل أن يكون متواضعا، واختار أن يكون عبدا رسولا..

وكان النبى ﷺ يساعد المسكين والضعيف، ويساعد

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم (٩١) .





أهل بيته فى أعمالهم، وعندما فتح مكة، لم يدخلها كقائد حربى منتصر، فيدخل منفوخ الصدر، مرتفع الأنف فى زهو وخيلاء، بل وضع رأسه على رحله تواضعا.

سالت دموع حافظ، واحتضن حسن فى حب، لم يخف أن تتسخ حلته الثمينة، وقال فى حرارة:

- جزاك الله خيرا، لقد تعلمت منك اليوم درسا غاليا.. لن يعرف التكبر طريقه إلى قلبى بعد اليوم..

وبسط يده إلى حسن وقال:

- أتقبلنى صديقا لك؟

وضع حسن كفه الصغير فى كف حافظ، وتصافحا فى حرارة.

ومنذ ذلك اليوم لم يعد حافظ متكبرا، بل صار متواضعا، وتبدلت حياته إلى الأفضل.

تمت بحمد الله.

رقم الإيداع ٨٧٩٥ / ٩٨